



ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: <https://eduj.uowasit.edu.iq>

Assis.Prof. Ahmad  
Mahmoud Abdel  
Hamid . (Dr)

Al-Qaim College of  
Education / University of  
Anbar

**Email:**

Ahmad.albayati@uoanbar.edu.iq

**Keywords:**

Abbasid poetry,  
meaning of strength,  
Euphrates River

**Article info**

**Article history:**

Received 15.May.2022

Accepted 17.Aout.2022

Published 15.Nov.2022



## Employing the Euphrates River to denote strength in Abbasid poetry

### A B S T R A C T

The poets of the Abbasid era employ the Euphrates River to download the meaning of power in many ways, including: the methods of statement, the use of symbols such as the days of the Arabs, personalities and historical events, as well as the employment of the place of the event itself. Noodles in which he employed Euphrates to denote strength, including praise, which is most of it, including pride, satire, and even spinning. A number of poets have also emerged in employing the Euphrates River to denote strength, including al-Buhturi and al-Mutanabbi. The images in which the Euphrates is used to denote strength are often characterized by movement and exaggeration; Because it depends on the event.

© 2022 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

**DOI: <https://doi.org/10.31185/eduj.Vol49.Iss2.3304>**

توظيف نهر الفرات للدلالة على القوة في الشعر العباسي

أ.م.د. أحمد محمود عبد الحميد البياتي

كلية التربية القائم/ جامعة الأنبار

**الخلاصة:**

يوظف شعراء العصر العباسي نهر الفرات لتحمله دلالة القوة بأساليب عديدة، منها: أساليب البيان، وتوظيف الرموز كأيام العرب، والشخصيات والأحداث التاريخية، وفضلا عن توظيف مكان الحدث ذاته، وظهر هذا التوظيف منذ عصر ما قبل الإسلام وازداد وتنوع كثيرا في العصر العباسي، وتعددت الأغراض الشعرية التي وظف فيها الفرات للدلالة على القوة وأبرزها المديح وهو غالبها، ومنها الفخر، والوعظ والوصف وحتى الغزل، كما برز عدد من الشعراء في توظيف نهر الفرات

للدلالة على القوة منهم البحترى والمنتبي، وكثيرا ما اتسمت الصور التي يوظف فيها الفرات للدلالة على القوة بالحركة والمبالغة؛ لأن وصفها يعتمد على الحدث.

**الكلمات المفتاحية:** الشعر العباسي ، دلالة القوة ، نهر الفرات

**المقدمة:**

قالت العرب في أمثالها: "مَنْ يَرُدُّ الْفُرَاتَ عَنْ دِرَاجِهِ؟" (الميداني، 1955، 314/2) تدليلا على العجز أمام قوة كبيرة وأمر نفذ، فتدليل الفرات على القوة والكثرة والغزارة موظف في الشعر العربي منذ فترة قبل الإسلام وما تلاها، وبرز هذا التوظيف في أغراض شعرية عدة، وهدف البحث دراسة توظيف نهر الفرات للدلالة على القوة في شعر العصر العباسي، وسببه محبة نهر الفرات، ومحاولة الكشف عن أثره في الشعر العربي؛ ولأن الشعر العباسي استمر وتطور للشعر العربي السابق عليه، قسمنا الدراسة على ثلاثة مباحث: درسنا في أولها: توظيف نهر الفرات للدلالة على القوة في الشعر العربي إلى نهاية العصر الأموي وأفرنا هذه المدة بمبحث مستقل لسعتها وأهميتها وأثرها في الشعر العباسي من بعدها، وتناول ثانياها توظيف نهر الفرات للدلالة على القوة في الشعر العربي في العصر العباسي في غرض المديح، فقد استحوذ هذا الغرض على غالب صورة الفرات الموظفة للدلالة على الكرم؛ لذا أفرنا في مبحث مستقل، وتناول ثالثها توظيف نهر الفرات للدلالة على القوة في الشعر العربي في العصر العباسي في الفخر والوعظ والوصف والغزل، وسنتبع في هذا البحث المنهج التحليلي، علما أن الدراسة مختصة بلفظة الفرات الدالة على النهر، ولعل أهم عامل دفع إلى اختيار دراسة توظيف نهر الفرات للدلالة على القوة حب هذا النهر، فضلا عن إثارة موضوع دلالات الأنهار في القصيدة العربية وتبسيط البحث عليها.

#### الدراسات السابقة:

الجاحظ (ت: 255هـ) أول من قدم ملاحظات عن أثر الفرات في الأدب؛ إذ جعل باب (أخبار وأشعار في نهري دجلة والفرات)، وعرض فيه ثلاثة أخبار: أولها: هل الفرات خير أو شر؟ والخبران الآخران عن تسمية الفرات ودجلة (الرائدان، والرافدان)، وأنهى الباب بأبيات للفرزدق (ت: 114هـ) يمثل بها على تسميتهما الرافدين، وما من ذكر لموضع دراستنا في الباب. (ينظر: الجاحظ، 1967، 108 / 5 - 109).

وثاني من بحث في توظيف الفرات شعريا الأمدي (ت: 370هـ) في كتابه (الموازنة بين شعر أبي تمام والبحترى) في (باب الجود والكرم)، فعقد بابا "وفي تشبيه جود الجواد بالبحر" (الأمدي، 1990، 176 / 3 - 180)، وهذا بعيد عن دراستنا.

وثالث الدارسين الدكتور حسين نصار في كتابه (وصف البحر والنهر في الشعر العربي من العصر الجاهلي حتى العصر العباسي الثاني)، وكانت عنايته منصبة على التدليل على توظيف الشعر العربي للبحر والنهر ووصفهما، وغالب ما ذكره عن وصف البحر ومعاركه وتوظيف الفرات للدلالة على الكرم، ووصف الرحلات النهرية. (ينظر: نصار، 1982)

والرابعة دراسة للماجستير موضوعها: "مفردات الماء في الشعر العباسي 200هـ - 350 هـ دراسة موضوعية فنية" لعلي غانم الفنداوي، رسالة ماجستير، كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة البصرة، 2013، شغل الفرات فيها أقل من صفحة واحدة، فذكر تعريفا بالنهر قصيرا، وبيتين لأبي نواس في الخمر، ثم ذكر خمسة أبيات للبحترى في وصفه رحلة نهريه في نهر الفرات من قصيدة في المديح، وكل ما ذكر بعيد عن بحثنا (ينظر: رسالة ماجستير، الفنداوي، 2013).

والخامسة بحث للأستاذ الدكتور شاعر هادي التميمي عنوانه "دجلة والفرات في شعر الجواهري، 2013، 6" وعلى الرغم من أن البحث في الشعر الحديث ولكن الفرات كان حاضرا فيها وموظفا لحمل دلالة القوة في فقرة من البحث موجزة.

## المبحث الأول:

## نهر الفرات وتوظيفه للدلالة على القوة والكثرة في الشعر العربي إلى نهاية العصر الأموي:

يخط اسم نهر الفرات في الكتابة المسمارية (UD.KIB.NUN)، وتقرأ (BURANUN) و(BURUNUNA)، وفي اللغة الآكادية (PU-RA-TI) و(PU-RAT-TUM)، وكذلك عند البابليين، ولكنه يسمى عند الحيثيين (مالا) وعند الآراميين (فروت)، وعند العرب (الفرات)، وكان نهرا مقدسا ورمزا للرخاء قامت الآلهة بحفره عند البابليين (ينظر: التميمي، شاكر، 2013، 3)، ويعني بالعربية "الماء العذب" (الجوهري، 1990، 221/1)، وقال زبيدي: "الماء العذب جداً" (الزبيدي، 1969، 24/5)، قال تعالى: { مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ } (الفرقان: 53)، وقال {وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا} (المرسلات: 27)، ونؤكد هنا أن البحث يتناول نهر الفرات فقط، ويستبعد كل كلمة الفرات الدالة على العذوبة. وظف الفرات للدلالة على القوة والنفوذ وهزم الأعداء، ولهذا أساليب عدة، ولا نقف في الشعر العربي قبل الإسلام إلا على أسلوبين:

أولهما: توظيف الأيام للدلالة على القوة والبطش، ومنها يوم الفرات<sup>1</sup>، قال عمرو بن قميئة الثعلبي البكري (تقدر وفاته: 530م، 85 ق.هـ) يفخر بقبيلته بكر بن وائل، فقال:

"أَلَيْسُوا الْفَوَارِسَ يَوْمَ الْفُرَاتِ وَالْحَيْلُ بِالْقَوْمِ مِثْلُ السَّعَالِي" (ابن قميئة، 1965، 58)

وظف الشاعر الحدث التاريخي (يوم الفرات) للفخر بقوة قومه وشجاعتهم، وهنا يبتدئ البيت باستفهام تقريبي عن فرسان يوم الفرات، هذا اليوم الذي انتصر فيه قومه، ثم ينتقل إلى صورة تشبيهية حسية وهمية، وهو التشبيه الذي يكون طرفه ليس مدركا بالحواس، ولو أدرك لأدرك بها (ينظر: الصعيدي، 2005، 3/393)، فيشبه خيل فرسان قومه كأنها السعالي، فقومه يأتون بأفعال لا يأتي بها إلا سحرة الجن تصويرا لشجاعتهم وبتشبههم، وجاء بالسعالي تهويلا وتخويلا للأعداء، كما أن التشبيه مجمل، وهو التشبيه الذي يحذف منه وجه الشبه (ينظر: الصعيدي، 2005، 3/423)، وهذا ما يتيح للمتلقي تشكيل الصورة وفقا لمتخيله إذ لا يقيد وجه الشبه، واجتماع الجن وانفتاح عوالم التخيل سيذهب في تشكيل الصورة كل مذهب.

ثانيهما: توظيف الصورة البيانية، ومن هذا قول المثلثي (ت: 50 ق.هـ) واصفا فراره من الحيرة إلى الشام يوم طلبه ملكها، فقال:

"وَأَلْقَيْتُهَا فِي النَّيِّ مِنْ جُنْبِ كَافِرٍ كَذَلِكَ أَقْبُو كُلِّ قِطِّ مُضَلِّلٍ" (المثلثي، 1970، 22-24)

يصور الشاعر رميه رسالة ملك الحيرة إلى عامله على البحرين؛ لأنه علم أن فيها مقتله فرماها في الفرات، ولكنه يوظف أسلوب الكناية عن موصوف الذي يعرف بأنه ذكر صفة تختص بموصوف ويراد بها الموصوف ذاته (ينظر: فيود، 2015، 226-227)؛ لتصوير الفرات وأمواجه تفيض وتضطرب وتقلب ما تحمله وتطغى على ما حوله فتغطيه، لهذا ألقى الصحيفة فيه لعلمه أن الفرات القوي سيمحو أثرها، أو يحملها بعيدا، كما أن استخدام أسلوب الكناية عن موصوف يوفر المساحة الصوتية في البيت فهي تحمل الوصف وتشير إلى الموصوف معا، فتعبر عن معنيين في لفظ واحد.

ويوظف الشعراء المخضرمون الفرات موقعا للمعارك للدلالة على القوة، إذ وظف الشاعر المخضرم عمرو بن شأس الأسدي (ت: 20هـ) في قصيدة قالها قبل الإسلام نهر الفرات موقعا للنصر وإثباتا للقوة، فقال:

"وَنَحْنُ قَتَلْنَا بِالْفُرَاتِ وَجْرَعِهِ عَدِيًّا فَلَمْ يُكْسَرْ بِهِ عُوْدُ حَزْمِلٍ" (ابن شأس الأسدي، 1983، 47)

قال د. يحيى الجبوري: "ويحدد موضع تلك المعركة بالفرات، ويصور قوة جيش الغساسنة" (ابن شأس الأسدي، 1983، 47)، غالبا ما حددت المعارك عند العرب قبل الإسلام وبعده بموقعها، وينظمون الشعر تخليدا لانتصارهم وفخرا بقوتهم وتهديدا

لعدوهم يتعنون بذكر ذلك الموقع ويذكرون بأبرز علامات انتصارهم وأدلة قوتهم، فيبرز الفرات هنا رمزا لقوة بني أسد، ويوظف الشاعر الكناية للتدليل على ضعف عدوه وانهزامهم، فقد قتل قومه (عديا) أحد رموز قوة أعدائهم (بنو أسد)، والثانية أن بني أسد لم يطلبوا ثأر عدي فضرب مثلا على هذا، فقال " فَلَمْ يُكْسَرْ بِهِ عُودُ حَزْمَلٍ " كناية عن هوانه عليهم خوفا من المواجهة والقتال.

أما في الشعر العربي في العصر الإسلامي فيوظف الفرات نهرا ومكانا للدلالة على سعة النفوذ والقوة والسلطان بكثرة الرجال وما يستحذون عليه من البلدان، وهذا الأخطل التغلبي (ت: 92هـ) يفخر بسعة نفوذ تغلب بين القبائل وكثرة عديد رجالها، فيعدد أماكن نفوذهم وسلطانهم، فقال:

"أَلْسَنَا مِنْ دِمَشْقَ إِلَى عُمانِ مَلَأْنَا الْبِرَّ أَحْيَاءَ حِلَالًا  
وَدِجْلَةَ وَالْفُرَاتَ وَكُلَّ وَادٍ إِلَى أَنْ خَالَطَ النَّعْمُ الْجِبَالَ" (الأخطل، 1994، 272).

يفتح الصورة باستفهام تقريرية يسأل عن أنهم هم الممتد نفوذهم من دمشق إلى عُمان، وأنهم من ملؤوا البر أحياء يقيمون فيها، وأنهم هم سكنوا على دجلة والفرات وكل الوديان الجارية إلى أن تختلط نعمهم بأعالي الجبال، والشاعر ابن قميئة والأخطل يستفهامان استفهاما تقريريا ويريدان من الآخرين أن يقرؤا بأنهم ما يدعون تعاليا وترسيخا للمفاخر وإذلالا للمنهزم، ولهذا جاء المسند إليه مباشرة بعد أداة الاستفهام وهذا شرطه ودليله (ينظر: الصعيدي، 2005، 39/2)، ولعله كنى عن موصوف بقوله "وَدِجْلَةَ وَالْفُرَاتَ وَكُلَّ وَادٍ" عن الماء فيكونوا قد ملؤوا البر والماء، وكأنه اقتفى ابن قبيلته الجاهلي عمرو بن كلثوم التغلبي (40 ق.هـ)<sup>2</sup>، فكلاهما ينطقان باللغة الجمعية القبلية ذاتها موظفين الضمير (نا)، وبالفكرة ذاتها التي تعبر عن الكثرة والقوة والنفوذ، فوظف الأخطل الفرات وما معه من الأنهار والأماكن للتدليل على كثرتهم وقوتهم وسلطانهم، فهم يتخيرون خير البلدان وأكثرها عطاءً ليستحذوا عليها بالقوة.

وارتبط نهر الفرات بتصوير ركب الحبيبة وهي ترتحل لدلالات عدة منها قوة الرواحل، وقال الشاعر المخضرم تميم بن أبي مقبل العجلاني(ت: 37هـ) في تصوير رحلة قوم محبوبته المحفوفة بالمخاطر والسالكة للوعر من الطرق فكأن الغيوب التي عالجتها في شدتها وبطشها كقوة وقسوة موج الفرات وهو يضرب السفن فقال:

"أَوْ مِنْ بَنِي عامرٍ تَرْمِي الْغُيُوبُ بِهَا رَمِي الْفُرَاتِ عَدَاةَ الرِّيحِ بِالسُّفُنِ" (ابن مقبل، 1995، 216)

يشبه الشاعر معاناة ناقه الحبيبة المرتحلة بمعاناة السفينة هي تواجه قوة ثورة الفرات إذا أثارته الريح، واستخدم أسلوب التشبيه وقد حذف الأداة، وأبدلها بالمصدر وهذا مما يمتن التشبيه، فالتشبيه البليغ يوحد بين طرفي التشبيه خيالا فيصور الناقه والسفينة في وسط الفرات مما يهب الناقه دلالة القوة كما يهبها الصورة دلالة الخير الذي يأمله الشاعر لرحلة الحبيبة، فضلا عن التشكيل الصوتي القائم بين الفعل (ترمي) والمصدر (رمي)، فالمراد قوة الناقه وتحملها مشاق المسالك الغريبة البعيدة فقد استعار للفلاة كلمة (الغيوب) استعارة تصريحية تدليلا على المشقة والتيه والخوف الذي تعانیه، وصورة تشبيه الناقه في وسط الصحارى بالسفينة في الفرات شائعة عند الشعراء قبل الإسلام وبعده<sup>3</sup>.

وقال هُدْبَةُ بِنُ حَشْرَمِ الْعُدْرِيِّ (ت: 50هـ) مفتخرا ومهددا موظفا الفرات بأساليب بيانية:

"فَمِلَانَ عَاجَلْتُمْ رِيَاضَةَ مُصْعَبٍ مُدَلِّ عَسِيرِ الصُّلْبِ غَيْرِ رُكُوبٍ  
وَقَاسَيْتُمْ غَرِباً يَمْدُ عِنَانَهُ كَغَرَبِ الْفُرَاتِ جَاشٍ يَوْمَ جُنُوبٍ" (ابن حشرم، 1986، 80 - 81)

قال هدبة هذه المقطوعة وقد كبر واجترأ عليه - كما يذكر في أولها- ولكنه يهدد خصومه ويصور قوته فيستخدم أسلوب الاستعارة التصريحية<sup>4</sup> وهي التي يُصْرَحُ فيها بذات اللفظ المستعار " (حبكة الميداني، 1996، 242/2)، فيستعير (مصعب)

مصورا قوته وشدته، والمصعب وهو الجمل غير المنقاد ولا الذلول، ويستخدم الاستعارة الترشيفية "هي الاستعارة التي اقترنت بما يلائم المستعار منه" (حبنكة الميداني، 1996، 2/ 253)، فيشرح استعارته بوصف الجمل فهو جريء عسير ركوب ظهره، ثم ينتقل إلى استعارة تصريحية مرة ثانية فيستعير لنفسه (الغرب) وهو الفرس سريع الجري، ويمتد في ترشيح الاستعارة فالفرس يمد عنانه مسرعا مندفعاً بقوة وهنا يستخدم التشبيه الحسي المجل، فيشبه اندفاع الفرس وقوته باندفاع وقوة موج نهر الفرات العتي وقد جاش أي أكثر ماؤه في يوم عاصف تهب فيه رياح الجنوب، فيوظف الفرات بالتشبيه للدلالة على القوة.

وقال جرير بن عطية (ت: 114هـ) مفتخراً وهاجياً الشاعر سراقه بن مرداس البارق الكوفي (ت: 79هـ) مهتدا ومتوعدا:

"أَسْرَاقَ إِنَّكَ لَوْ تُفَاضِلُ خَنْدَفًا      بَنَيْتَ عَلَيَّكَ مِنَ الْفُرَاتِ بُحُورًا" (جرير، 1986، 1/ 368)

يفتح مخاطبة سراقه بنداؤه بالهمزة نداء ترخيم، ولعله يريد "سرعة الفراغ منه لعظم المنادى له" (معاني النحو، 2000، 334/4)، ولعل فيه إشارة إلى حقارة المنادى، وبعده عن الحكمة يوم يفاضل خندفا كلها، فسقيض عليه قبائلها فيضان الفرات، ففي الصورة تشبيهه ضمني وهو ترك الطريقة المعروفة في ذكر أركان التشبيه، واتخاذ طريقة في التشبيه غير صريحة، فيأتي بكلام مستقل مقرون بكلام ثان، وقد ضم هذا الكلام معنى يفيد منه التشبيه (ينظر: حبنكة الميداني، 1996، 2/ 202) إذ يشبه خندف - وهي كل قبائل مضر - بقبائلها العديدة قوةً وكثرة عدد بالفرات وهو يفيض أنهاراً عظيماً على فجأة، فضلاً عن أن الشاعر يستخدم الاستعارة التصريحية فيستعير (لبحور) لموج الفرات مبالغة في كثرة مائه وعظم النظامه وبعده غوره، كذلك يوظف الفرات بأسلوب الاستعارة للدلالة على القوة والغلبة قوله في هجاء الفرزدق (ينظر: جرير، 1986، 2/ 828)، وفي وصف جرير عطياً ممدوحه التي تُظهر مقدار كرمه وجوده فيصور أنه منحه مئة من الإبل القوية الضخمة (ينظر: جرير، 1986، 1/ 174).

ويوظف الفرات للدلالة على قوة النوق المرتحل عليها إلى الممدوح تدليلاً على بعد السفر ومشقته وهذا ما يبين عظم الممدوح وعلو مكانته، فقال الشاعر الأموي ذو الرمة (ت: 117هـ):

"كَأَنَّنا، وَالْقِنَانُ الْقُوْدُ يَحْمِلُنَا      مَوْجُ الْفُرَاتِ إِذَا التَّجَّ الدِّيَامِيمُ" (ذو الرمة، 1982، 1/ 413)

يصور ذو الرمة لوحة بانورامية للجمال القوية القادرة على السير الشديد والتحمل وهي تسير وسط الفلاة والجبال بقربها والسراب يحيط بها ويرفعها عالياً، فيشبهها بموج الفرات وهو يعلو وينخفض، صورة تعبر عن ضخامة الجمال التي تقرن بالجبال العالية، والشاعر يستخدم أداة التشبيه (كأن) التي تتقدم لنترك المشبه والمشبه به متجاوران فكأنهما يتحدان، فضلاً عن أن التشبيه مجمل ليمتد الخيال ناسجاً الصورة وفق مخيلة المتلقي، فدل الفرات هنا على القوة والغزارة وشدّة علو أمواجه التي تقارب الجبال وهي محمولة على الآل.

ومما يلاحظ فيما سبق تنوع أساليب توظيف الفرات للدلالة على الغلبة والقوة والغزارة، كما يلاحظ ازدياد هذا التوظيف في شعر العصر الأموي ولعل هذا يرجع لخروج كثير من عرب نجد والحجاز إلى العراق وبلاد الشام، كما يبرز جرير بن عطية في كثرة توظيفه للفرات للدلالة على هذه المعاني.

## المبحث الثاني:

## توظيف الفرات للدلالة على القوة في شعر العصر العباسي في غرض المديح:

يبقى الفرات حملاً لدلالات عديدة توظف في قصيدة المديح كالكرم، والعذوبة، والغلبة، والقوة، وغيرها، ولقد استمر كثير من شعراء العصر العباسي سائرين على نهج سابقهم، لذا نجد توظيف الفرات للتدليل على القوة مستمرا، ويبرز في أغراض عدة أهمها غرض المديح، فيتبع أبو نواس (ت: 198هـ) سنن سابقه من الشعراء بوصف الناقة التي يرتحل عليها إلى الممدوح بالقوة، ومن هذا قوله مادحا:

"فكم حطمت من جندل بمفازةٍ وخاضت كتبارِ الفراتِ بؤادٍ" (أبو نواس، 2009، 267)

يصور أبو نواس الناقة التي يرتحل عليها إلى ممدوحه مشكلا لوحة قائمة على عدد من الصور، ومنها تصوير اندفاعها قوية وهذا الاندفاع يعبر عن شوق صاحبها إلى لقاء الممدوح ومقدار الجهد الذي بذله للوصول إليه، فهي تضرب الأرض بقوة فتحطم حجارة الصحارى الواسعة وهذه كناية عن صفة القوة فيها، ثم يستخدم التشبيه الحسي المجمل لتصوير اندفاعها في قطع الوديان فكأنها تيار الفرات قوة واندفاعا وسرعة، والبيت كله يصوغ صورة تعبر عن القوة إذ تتشكل من كثرة التحطيم والجندل والمفاوز وتيار الفرات حركة نشطة فيها شيء من المبالغة لا سيما وهو يوظف (كم) الخبرية الدالة على الكثرة (ينظر: الأنصاري، 1998، 143).

ويوظف الفرات في المديح بمعان عدة منها أن يشبه الممدوح بالفرات قوة واندفاعاً، ومن ذلك قول أبي عبادة البحتري (ت: 284هـ):

"أوفى فأعشاك الصباح بظوئه وجرى ففرقك الفرات الزائد" (البحتري، 603/1، وينظر: 364/1)

يخاطب أبو عبادة خصم ممدوحه عاقدا مقارنة بينهما فيخبره أن الممدوح إذا أوفى فكأنه شمس الصباح التي يعشي ضوءها الناظر إليها، فيشبه الممدوح بالصباح تشبيها ضميا فكأنه يوحد بينهما ويأتي بالكلام سلسا لا تظهر عليه علامات الصنعة هنا مكن جمالية وبلاغة التشبيه الضمني، ثم ينتقل إلى صورة ثانية في البيت ذاته، ليوظف الفرات في تشبيه ضمي ليشبه الممدوح بالفرات الذي إذا جرى في مطالبه فإنه يغرق كل شيء ويهزمه، ثم يمتد ليصف الفرات مزيدا أو زائدا -فلبيت روايتان- وهذا يكون إذا فاض الفرات وعلا موجه وجرف كل ما يكون أمامه، فحمل الفرات دلالة القوة والظفر، وليس المراد الفرات فهو المشبه به، ولكن المراد الممدوح، وممن أحسن توظيف الفرات للدلالة على قوة ممدوحه ابن نباتة السعدي (ت: 405هـ) (ينظر: ديوان ابن نباتة السعدي، 1977، 307/2، و 375/2).

ومن توظيف الفرات للدلالة على القوة ما يكون في وصف قوة جيوش والممدوح، ولقد اتخذ الشعراء أساليب لهذا، منها تصوير عبور الجيش نهر الفرات، كقول البحتري:

"كأن على الفرات وجيرتيه جبال تهامة ارتفعت تسير  
يتلى في أواخرها تبيع ويقدم في أوائلها ثبير" (البحتري، 914/2)

يمدح البحتري وزير الخليفة العباسي المعتمد (ت: 279هـ)، فيصور عظم الجيش الذي ينظمه ويقوده، فيصوره عابرا الفرات وهو يمتد على جانبيه (جيرتيه) فيرسم صورة حسية مستخدما التشبيه المجمل، فيشبه ارتفاعه وعلو راياته وآلته بجبال تهامة وهي تسير، فيستعير لها السير استعارة تبعية تهبها الحركة، ثم يأخذ مفصلا في الصورة فيصوره ممتدا يعبر النهر العظيم فيستخدم الاستعارة التصريحية ليستعير لمؤخرة الجيش جبل (تبيع) ولمقدمته جبل (ثبير) مع استعمال الفعل (يقدم) فكأنه يمزج الاستعارة التصريحية بالتبعية إذ جعل مقدمة الجيش جبل ثبير سائرا، فتتشكل صورة واسعة تعبر عن القوة وعظم

الحجم، تجتمع في تشكلها الفرات وجبال تهامة وجبال تبليغ وثبير، صورة متحركة ترتكز على الفعل، وتبرز فيها المبالغة والتهويل تعبيراً عن القوة وإخافة للعدو.

ومن أساليب توظيف نهر الفرات لوصف قوة جيوش الممدوح تصويره عبورها النهر، وغالباً ما تصور تلك القوة بوصف خيوله القوية القادرة على عبوره، وقد كثر هذا التوظيف وبرز عند عدد من الشعراء، وتباينوا في طريقة تصويره، فقال أبو الطيب المتنبي (ت: 354هـ) صورة مبدعة للمنظر نفسه ولكن رغبته وولعه بالتفوق تدعوه إلى المبالغة في تصوير قوة جيوش ممدوحه، فقال:

"وَرُغِنُ بِنَا قَلْبِ الْفَرَاتِ كَأَنَّمَا تَخْرُ عَلَيْهِ بِالرِّجَالِ سُيُولُ  
يُطَارِدُ فِيهِ مَوْجَهُ كُلُّ سَابِحٍ سَوَاءٌ عَلَيْهِ غَمْرَةٌ وَمَسِيلُ  
تَرَاهُ كَأَنَّ الْمَاءَ مَرَّ بِجَسْمِهِ وَأَقْبَلَ رَأْسُ وَحْدَهُ وَتَلِيلُ" (المتنبي، 1992، 334/3).

يصوغ المتنبي لوحة في وصف خيل جيش ممدوحه الذكية السريعة القوية، وليعبر عن هذا أتم تعبير يشكل صورة مركبة لعبورها الفرات وفرسانها عليها، فيبدأ الصورة بالتخويف فهذه الخيول مخيفة مرعبة حتى للفرات القوي، هذه الصورة المغرقة في الخيال أعني صورة الفرات الخائف المرتعب تحتاج الاستعارة ليمتد الخيال بعيداً في فضائه، فيستخدم الاستعارة المكنية "وهي التي لم يُصَرِّحْ فيها باللفظ المستعار، وإنما دُكِرَ فيها شيءٌ من صفاته أو خصائصه أو لوازمه القريبة أو البعيدة، كنايةً به عن اللفظ المستعار" (حبنكة الميداني، 1966، 2/ 243)؛ ليستعير القلب للفرات، فمن دون قلب لن يكون الفرات مرتعباً، ويشخص الفرات بإظهاره بصورة الخائف، ثم يمتد بإظهار سبب خوف الفرات وهو اندفاع الخيول كأنها السيول مستخدماً التشبيه المجل، وهذه الخيول تحمل عليها رجالاً، وقد وظف الفعل (خرّ) الدال على شدة جريان الماء ليزيد حركة الخيول قوة واندفاعاً، وتروح هذه الخيول تطارد موج الفرات، ويكني عنها بقوله (سابع) كناية عن موصوف، وكأن موج الفرات الخائف يفر منها وهي تطلبه، وهي لا تعباً أعامت في سيل جرار أو خاضت غمار المعارك فهي قوية مدربة، ثم يصور عبور الخيول فالماء يمر بها ويغطي أغلب جسمها، فلا ترى منها إلا الرأس والعنق (تليل) وفي هذه الصورة كناية عن قوتها وشجاعتها وحسن تدريبها، لأهمية دلالة هذه الصورة في التعبير عن قوة خيل الممدوح عني بها المتنبي هذه العناية، وأظهرها قوية قوة الفرات.

وسار الطغرائي الحسين بن علي (ت: 513هـ) على نهج المتنبي، فقال مادحاً وواصفاً قوة جيش ممدوحه:

"رَمَى بِنَوَاصِيهَا الْفُرَاتَ فَأَقْبَلَتْ مُغَيَّبَةَ الْأَعْطَافِ ثَلَعِ الْمَنَاجِبِ  
خَمِيسٌ أَقَاصِي الشَّرْقِ تَرزُمُ تَحْتَهُ وَتَرْتَجُ مِنْهُ أَخْرِيَاثُ الْمَغَارِبِ" (الطغرائي، 1986، 50-51)<sup>4</sup>

في قصيدة في المديح طويلة يشكل الطغرائي لوحة طويلة كذلك لوصف خيول جيش الممدوح، ومن صفاتها القوة والشجاعة، فضلاً عن أن تصوير قوتها يدل على قوة الجيش كله، فيصف اقتحام الممدوح الفرات بخيوله ويستخدم الفعل (رمى) دلالة على القوة والهجوم، وقال نواصيها أي رؤوسها، على سبيل المجاز "منها تسمية الشيء باسم جزئه" (الصعدي، 466/3) فهو يرد الفرس كله لكنه يستخدم النواصي فهي الأهم، كما أنها تشير إلى شجاعة الفرس، ثم يصورها وهي تسبح في الفرات وغاب في جوانبها، وبرز فوق الماء كتفاها وعنقها وعضداها (مناكبها)، هذه الخيول القوية الشجاعة هي جيش الممدوح المنظم، الذي كنى عنه كناية عن موصوف بقوله (خميس)؛ لأنه خمسة أجزاء (المقدمة والقلب والجناحان والمؤخرة)، فهو جيش منظم قوي، كما أنه "حذف المسند إليه إرادة المدح" (حبنكة الميداني، 1996، 1/ 342) فتقديره هو خميس،

وتكاد أن تسقط الأرض تحت قوته وعظمة حجمه وترتج أطرافها من ثقله، هذا جيش الممدوح القوي، ووظف الفرات للدلالة على هذه القوة.

وقال عماد الدين الأصبهاني(ت: 597هـ) مادحا وداعيا ممدوحه للهجوم على الأعداء (الفرنجة) موظفا الفرات:

"وَكَاثَنِي بِالسَّاحِلِ الْأَقْصَى وَقَدْ سَاخَتْ بِبَحْرِ دَمِ الْفَرَنْجَةِ سَاخُهُ  
فَاعْبُرْ إِلَى الْقَوْمِ الْفُرَاتِ لِيَشْرَبُوا الْمَوْتَ الْأَجَاجَ فَقَدْ طَمَأَ طَفَّاحُهُ"  
(الأصفهاني، 1983، 115)

يصور معركة تدور مع الفرنجة وقد احتدمت حتى جرت الدماء في ساحة المعركة، واستعار البحر استعارة تصريحية لتصوير كثرة الدماء وطغيانها، وهو يستثير ممدوحه بهذا، ثم يطلب منه أن يعبر الفرات إليهم، فالعبور هنا قد يكون حقيقة وليس مجازا، ولكنه في الحالين يكتفي عن قوة الجيش وشجاعته لاسيما خيوله، ثم يجسد الموت ماء (أجاجا) مالحا مرا فيستعير له الشرب، ثم يرشح هذه الاستعارة بوصفه طغيان الماء وارتفاعه وعلوه حتى طفح وفاض، وقد وافق بين الفرات والشرب والإجاج وطما وطفاح.

والمدح بالكثرة التي ترمز إلى قوة الجيش وعظمته، ظاهر في الشعر العربي قبل الإسلام وما تلاه، وقد عبر عنها عدد من شعراء العصر العباسي منهم الأمير مصطفى الدولة أبو الفتيان المشهور بابن حيوس (ت: 473هـ)، إذ قال مادحا:

"قُدَّتِ الْجَحَافِلُ لَمْ يَقْدُ مِعْشَارَهَا كِسْرَى الطُّوكِ وَلَا رَأَاهَا تَبْعُ  
لَوْ أَبْصَرْتَ فَهَرٌّ فَرِيْقًا مِنْهُمْ مَا قِيلَ لِلْفَهْرِيِّ أَنْتَ مُجَمِّعُ  
وَعَصَائِبَ مَلَأُوا الْفُرَاتَ سَفَائِنًا لَمَّا نَبَأَ بِهِمُ الْفَضَاءَ الْأَوْسَعُ  
طُوفَانُ عَزْمٍ لَا يَشْقُ غُبَابَهُ فُلُكٌ وَلَا الْجُودِيُّ مِنْهُ يَمْنَعُ"  
(ابن حيوس، 1984، 319/1-320)

يوظف الشاعر عددا من الرموز التاريخية والنصوص والمعالم الجغرافية لتصوير قوة جيوش ممدوحه وحسن قيادته، فالجافل التي قادها لم يقدر معشارها لا كسرى ولا تبع، فهو يشبه الممدوح وجيوشه تشبيها ضمنيا بهاتين الشخصيتين وجيشيهما مع تفضيله عليهما، ثم ينتقل إلى صورة ثانية يوظف فيها فهر بن مالك وهو أحد أكابر جدود لعرب العدنانية بكل بطونها، فهي قليل إذا قيست بجيوش الممدوح، ولذا لن يقال لقصي بن كلاب أنه مُجَمِّعُ لأنه جَمَعَ فُهْرًا فِي مَكَّةَ فَلَقِبَ "مُجَمِّعًا" (الميداني، 17/1، والزركلي، 198/5)، فالجموع التي جمعها الممدوح أكثر، وفي هذا كذلك تشبيهه ضمنيا للممدوح بقصي بن كلاب، ثم يتناص مع بيت عمرو بن كلثوم الذي أوردناه سابقا، فعديد جحافله لا يتسع لهم البر فملؤوا الفرات سفائن، ثم يشبه هذه العصائب بالطوفان الذي يفوق طوفان نوح - عليه السلام - فهو طوفان (عزم) على أسلوب الاستعارة، إذ يجسد العزم طوفانا لا تشق أمواجه السفن فهو يرشح الاستعارة بهذا الوصف، ولا يمتنع من هذا الطوفان أحد وإن التجأ إلى جبل (الجودي) الذي رست عليه سفينة نوح - عليه السلام - فهو يوظف قول الله تعالى: "وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيَضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ" (هود/44)، لا ريب أن الأمير ابن حيوس قد بذل جهدا كبيرا وهو يجمع هذه الصور والرموز والنصوص والمعالم الجغرافية ليصور ضخامة وقوة جيوش ممدوحه وحسن قيادته، ومما يوظفه الفرات لكبر هذا النهر وعظمته فقد أبدله بالبحر في صورة عمرو بن كلثوم.

ومن شعراء العصر العباسي من يحدد جغرافية سلطان ممدوحه بنهر الفرات، فقال أبو الطيب المتنبي (ت: 354هـ) واصفا ممدوحه بالقوة والشجاعة والبأس لقتله أسداً أربع الناس لكثرة ما قتل:

"وَرْدٌ إِذَا وَرَدَ الْبُحَيْرَةَ شَارِباً وَرَدَ الْفُرَاتَ زَيْبُهُ وَالنَّيْلَا  
أَلْقَى فَرِيستَهُ وَبَرَبَرَ دُونَهَا وَقَرَّبَتْ قُرْباً خَالَهُ تَطْفِيلاً  
فَتَشَابَهَ الْخُلُقَانِ فِي إِقْدَامِهِ وَتَخَالَفَا فِي بَدَلِكِ الْمَأْكُولَا" (المتنبي، 1992، 2 / 169-171)

يصف المتنبي أسداً قتله ممدوحه، فيصوره قد احمرَّ لكثرة آثار دماء من قتل عليه، وقد هابه الناس حتى بلغ سلطان خوفهم من قوته وبطشه ما بين الفرات والنيل حيث جغرافية سلطان الممدوح ونفوذه وفرضه قوته، والمتنبي يستعير لصوت الأسد الورد فكأنه إذا ورد بحيرة طبرية بلغ زئيره الفرات والنيل فخافوا صوته وإن لم يروه، مبالغة في قوة هذا الأسد وشدة خوف الناس منه، هذا الأسد قتله ممدوح المتنبي فكم هي قوته؟! ويلاحظ عناية المتنبي بهذه الصورة لاسيما في توظيف الجناس والتكرار في (وَرْدٌ، وَرَدٌ، وَرَدٌ)، ويجمع البيت الثاني بين الأسد الحقيقي والذي تأهب للدفاع عن فريسته، والممدوح الذي يصوره المتنبي هو المتقدم إليه شجاعة وقوة، ويكفي عن خروج شجاعة الممدوح وقوته عن المؤلف حتى ظن الأسد أنه ليس أكثر من متطفل فليس من إنسان يواجه هذا الأسد، ثم يشبه الممدوح بالأسد فهما متشابهان في القوة والشجاعة، إلا أنهما يختلفان في أن الممدوح كريم يبذل العطايا والأسد بخيل دفع عن طعامه، فيشكل الشاعر لوحة تمتد عدداً من الأبيات في مديح الأسد الحقيقي؛ لأن كل حسن في هذا المديح سيكون للممدوح الذي قتل الأسد، لذا ذكر المتنبي نفوذ امتداد نفوذ الأسد في أبيات عدة، فهذا النفوذ المتأتي من القوة والبطش سيكون للممدوح، وتلاحظ المبالغة بارزة في الصور.

وقال ابن نباتة السعدي:

"قَلَمٌ نَسَرَ إِلَّا فِي ضِيَاءِ جَبِينِهِ وَلَمْ نَرَعْ إِلَّا فِي حِمَى مِنْهُ مَخْصِبِ

حِمَى بَيْنَ أَحْشَاءِ الْفُرَاتِ وَجَاسِمِ طِعَانٍ فَتَى بِالسَّمْهَرِيَّةِ هُبَّهَبِ"<sup>5</sup> (ابن نباتة السعدي، 1977، 1 / 279)

يصور ممدوحه منيرا فيستعير لجبينه الضياء، وبالغ حتى جعلهم يخرجون ليلاً مستضيئين بجبينه وبنى الجملة على النفي والاستثناء حصراً وتوكيداً، ثم يكرر بنية الجملة ذاتها مصوراً حمى الممدوح المخصب، كناية عن ترف العيش ورغده في ظلال ملكه، ثم يحدد ذلك الحمى موظفاً الاستعارة التصريحية فيستعير الأحشاء للفرات معبراً عن ضفافه وما يليه، ثم يعبر عن القوة التي بها بسط النفوذ وحمى المرعى فصور شجاعة وقوة ممدوحه فقال (طعان) أي طاعن كطعان فتى، إذ وظف التشبيه الضمني ليشبه ممدوحه بالفتى سريع طعان بالرمح الصلبة، فيشكل صورة في المديح تعبر عن قوة الممدوح وتبين مكان نفوذه وسلطانه موظفاً الفرات لهذا وفي اللوحة مبالغة في ضيائه وجود حماه، ولعل اختيار الفرات من دون كل العلامات الجغرافية الكثيرة للدلالة على النفوذ والسلطان نتاج أهمية النهر وأثره في قوة الدولة اقتصادياً، ووظف عدد من الشعراء الفرات في الدلالة على بسط النفوذ، ولعل أبرزهم أبو نواس (ينظر: أبو نواس، 2009، 386)، والبحتري (ينظر: البحتري، 2 / 1036، 819/2)، وأبو الطيب المتنبي (ينظر: المتنبي، 401/2)، والسري الرفاء (ت: 366هـ) (ينظر: ديوان السري الرفاء، 1891، 187/2)، وابن حيوس (ينظر: ابن حيوس، 1984، 175/1، و438/1)، ووظف الشريف المرتضى (ت: 436هـ) (ينظر: الشريف المرتضى، 1997، 159 / 1، وينظر: 2 / 278)<sup>6</sup>، وابن سنان الخفاجي (446هـ) (ينظر: الخفاجي، 2007، 172).

## المبحث الثالث:

توظيف الفرات للدلالة على القوة في شعر العصر العباسي في الفخر والوعظ، والوصف، والغزل:

يوظف الشعراء نهر الفرات للدلالة على القوة في أغراض أخرى غير المديح، ولعل أقربها إليه غرض الفخر، إذ يوظف الفرات للدلالة على القوة بذكر الفرات مكانا للنصر على الأعداء، وهذا من سنن شعراء العربية منذ ما قبل الإسلام وعلى أثرهم سار الأمير أبو الفتح الحسن بن عبد الله بن أبي حصينة (ت: 457هـ)، إذ قال مفتخرا:

"عَدَاةٌ أَتَوْا يَهْزُونَ الْمَوَاضِي إِلَيْنَا وَالْمُطَهَّمَةَ السِّرَاعَا

بِصَحْرَاءِ الْفُرَاتِ وَقَدْ تَوَالَتْ تَوَالِي الْكُذْرِ تَبْتَدِرُ الْقِرَاعَا

أَرَدَ جُمُوعَهُمْ إِلَّا ثَمَالَ وَقَدْ مَلَأَتْ جُمُوعُهُمُ الْوَسَاعَا" (ابن أبي حصينة، 1956، 1/ 166)

يصور الشاعر أعداء قومه مقبلين إلى المعركة مزهوين بكثرتهم وحسن عدتهم، ويبني الشاعر أكثر الصور بأسلوب الكناية عن موصوف فكنى عن سيوفهم بوصفها بالمواضي القاطعة البتارة، وكنى عن خيولهم بوصفها بالمطهمة الحسنة الجميلة التامة الخلق، ثم أردف بوصفها بالسرعة، بعد وصف الأعداء وإظهار حسن عدتهم وزهولهم بقوتهم، ينتقل إلى تحديد مكان النصر وهو صحراء الفرات، ثم يصف الهجوم فشبه كثرة الخيول وانقضاضها بانقضاض الكدر وهذا تشبيه بليغ يرتكز على المصدر، والمشبه به يقوم على الكناية عن موصوف إذ كنى عن القطا بلونها (الأكدر)، ثم يستفهم استفهاما تقريرا ليثبت النصر والشجاعة والقوة لممدوحه، فهو يقرر هل رد جموع الأعداء إلا ممدوحه (ثمال) بعد أن امتلأت بجموعهم الأرض الواسعة، لعل أجمل ما في هذه الأبيات سيرها على نهج المنصفات<sup>7</sup>، إذ أحسن الشاعر وصف محاسن الأعداء من قوة وكثرة وحسن عدة؛ ليحسن وصف المنتصر عليهم فكلمنا وصف العدو بالقوة كانت كناية عن قوة قومه لأنهم المنتصر، ونجد الأبيات توظف نهر الفرات للتعبير عن قوة قومه، فهو يحدد مكان انتصاراتهم على أعدائهم الأقوياء، فكأنه يقتفى أثر شعراء العربية ولاسيما قبل الإسلام بتذكير الأعداء بالأيام التي انتصر فيها الممدوح وقومه.

ومن جديد توظيف الفرات دالا على القوة توظيفه في الوعظ والإرشاد، وما كان هذا إلا من شاعر عرف بمكانته الدينية وبعد خياله وجودة سبكه الصورة وهو الشريف الرضي محمد بن الحسين (ت: 406هـ)، فقال:

"أَوْ لَوْ طَعَى غَرْبُ الْفُرَاتِ لَرَدَّهُ مُتَقَطِّعَا، وَأَقَامَ مَدَّ النَّيْلِ

نَزَلَ الْقَضَاءُ بِهِ فَعَادَ كَأَنَّهُ لَمْ يَغْنَ أَمْسِ بِطَارِقِ وَنَزِيلِ" (الشريف الرضي، 1999، 2/ 184).

قال الشريف الرضي القصيدة في التعزية فيشكل فيها لوحة إرشادية وعظمية للاعتبار فيصور فيها الحكام المتجرين الذين طغوا وعتوا في طلب الحياة من دون تعقل فيظهرهم مغفلين مغرورين يدفعهم غرورهم إلى تمنى أمور مستحيلة لا يمكن وقوعها، وهو رد طوفان موج الفرات عند فيضانه وإقامة فيضان النيل بدلا عنه، فيستخدم (لو) الدالة على التمني إذ "يُسْتَعْمَلُ فِي التَّمْنَى حَرْفُ "لَوْ" لِإِبْرَازِ التَّمْنَى فِي صُورَةِ الْمُمْكِنِ إِلَّا أَنَّهُ عَزِيزُ الْمَنَالِ يَصْغُبُ تَحْقِيقَهُ، إِذْ حَرْفُ "لَوْ" يُشْعِرُ بَعْدَةَ الْأَمْرِ الْمَرْجُوِّ الْمَطْمُوعِ فِيهِ"، (حبنة الميداني، 1996، 1/ 252)، كأنه يحاول أن يطلب أمراً وهو عالم في قرارة نفسه أن طلبه مستحيل الوقوع، ثم يختم اللوحة بأن القضاء نازل بهم وإن طغوا وتجبروا، ويذهبون كأنهم لم يتمتعوا بنعم الحياة، فيوظف الفرات القوي حد إعجاز الملوك عن الوقوف أمام مده، توظيف مبتكر بيدعه الشريف الرضي.

ومن جديد الوصف في الشعر العباسي وصف السفن والزوارق النهرية، وممن وصفها سعيد بن أحمد بن مكي النيلي(ت: 565هـ)، فقال مصورا قوة السفينة وسرعتها:

"بَارَزَاتُ أَضْلَاعِهَا فَهِيَ كُنُزٌ مُدْمَجَاتٌ فِي قُوَّةٍ وَأَعْوَجَاجٍ  
سَيْرُهَا دَائِبًا عَلَى الظَّهْرِ لَا يَشْءُ كُو قَرَاهَا مِنْ كَدْحَةٍ وَأَنْشِجَاجٍ  
يَلْتَقِي جَزِيَّةَ الْفَرَاتِ فَيُرْدِي سَيْرُهَا كُلَّ مُقَرَّبٍ هِمْلَاجٍ" (النيلي، 2019، 42)

يصور الشاعر السفينة بلغة وصف الجمال والخيل، فيوظف الاستعارة التصريحية لتصوير خشبها البارز فهي أضلاع كثيرة، ولعل وصفه كثرتها مقارنة بالدواب، وكذلك قوله: مدمجات، يريد أضلاعها مجتمعات فيصفها وصفا مباشرا من دون تصوير فأضلاعها قوية ومعوجة، ثم يبين فرقها عن النوق بصور حسية تقريرية تصورها سائرة على ظهرها، ثم يستخدم الاستعارة التبعية "وهي التي يكون اللفظ المستعار فيها فعلاً... أو اسماً مشتقاً... أو حرفاً من حروف المعاني". (حبكة الميداني، 1996، 2/ 237) فيشخص وسط ظهرها (قراها) مستعيراً له الشكوى من (الكدح) وهو قشر الجلد فهو يستعير للسفينة جلدا مخدشا مجرحا (انشجاج) كالنوق، وتلك السفينة تسير قوية مسرعة فتلاقي جري الفرات ولكنها تندفع فتسبق كل فرس حسن السير والتبخر، فنكون قوة الفرات موظفة لتصوير قوة تلك السفينة، وإن ظهر دوره ضعيفا فلقد كان قصد الشاعر التصوير الحسي الحركي للسفينة.

لعل من الغريب أن يوظف الفرات بقوته وغازته للتعبير عن الأشواق وغلبتها، والصبابة ولوعتها والآمال وضياعها، ولكن إبداع الشاعر وتوظيفه لخياله كان مذهلا، وإن روائع توظيف الفرات للدلالة على القوة قول أبي العلاء المعري (ت: 449هـ) معبرا عن قوة اشتياقه لبلوغ غايته، فقال:

"قَرْنُكَ أَوَاذِي الْفَرَاتِ صَبَابَةٌ وَأَبْلَسْتُ لَمَّا أَعْرَضْتُ لَكَ بِالسُّ" (المعري، 1986، 5/ 1970)

قال البيت في رحلته من بلاد الشام إلى بغداد، فيصف صراعه بين شوق البلوغ وبعد المسافة، فصور قوة شوقه عند رؤية الفرات وكأن أمواجه قد قطعت صبابته، إذ يستخدم المجاز العقلي فينسب التقطيع شوقا إلى موج الفرات كونه سببا للشوق، ولم أقف على صورة تعبر عن شدة الشوق بقوة موج الفرات إلا هذه، وفي هذا مبالغة محببة، وعبر عن يأسه من البلوغ لما علم أن المسافة لا زالت بعيدة بين المدينة التي بلغها (بالس) وبغداد، فالصورة مبتكرة لم أقف عليها عند غير أبي العلاء.

وقال الوزير أمين الدولة أبو إسحاق إبراهيم بن سعيد الشاتاني (ت: 554هـ)، واصفا غلبة الشوق عليه كذلك:

"وَلَوْ أَنَّ بَجْلَةَ فِيهَا الْفَرَاتِ وَسِيحُونَ وَالْبَحْرُ كَانَتْ مَدَايِي  
وَجَيْحُونَ وَالنَّيْلُ، مَا بَلَّغَتْ عَشِيرَ الَّذِي يَحْتَوِيهِ فُؤَادِي  
مِنَ الشُّوقِ يَا مَنْ حَوَى مُهْجَتِي وَصَيَّرَ طَرْفِي حَلِيفَ السُّهَادِ" (الأصفهاني، 1959، 2/ 243)

يستخدم أبو إسحاق الشاتاني أسلوب المبالغة في وصف غلبة الأشواق عليه، وعجزه عن التعبير عن حبه وإن كثرت كتابته موظفا الفرات وعدداً من الأنهار الكبيرة ليكني بها كلها عن غزارة مداده الذي سيكون عاجزا عن التعبير عن حبه وأشواقه، ويشبه الحبيب بالمهجة تشبيها ضمنيا، ثم يكني عن غلبة الشوق بالسهاد فطرفه محالف للسهاد، فيستعير للسهاد الحلف، وهو تعاهد مساعدة ومعونة، فالفرات وظف للدلالة على الغزارة والكثرة الغالبة.

ومن توظيف الفرات القوي غزير الماء قول مهيار الديلمي(ت: 428):

"رَعَى اللَّهُ أَمَالَآ إِلَيْهِمْ بَعَثَهَا صَيَاعًا كَأَنِّي فِي الْفَرَاتِ أَرِيْقُهَا" (الديلمي، 1925، 2/ 295)

بيكي الشاعر أماله فيدعو الله أن يرعاها، فقد بعثها إلى ممدوحه ولم يجد جواباً لها، فالببيت من قصيدة يعاتب الشاعر فيها ممدوحه، وهو يشبه حاله بمن يريق ماء بالفرات، فيجسد الأمل وكأنها ماء مستعيراً لها الإراقة، ثم يكتفي عن ضياع أماله بإراقتها في الفرات، فلا بد أن الفرات بقوته وغازة مائه لن يبقى لأماله أثراً، فيصور الفرات دالاً على الغلبة قوة وغازة.

#### الخاتمة:

- يوظف الشعراء الفرات لتحميله دلالة القوة بأساليب عديدة، منها: أساليب البيان، ومنها الأيام والتاريخ، ومنها المكان ذاته.
- ظهر هذا التوظيف منذ عصر ما قبل الإسلام واستمر، إلا أنه يزداد ويتنوع كثيراً في العصر العباسي، فضلاً عن الاستمرار بالسير على خطا المتقدمين.
- تعددت الأغراض الشعرية التي وطف فيها الفرات للدلالة على القوة وأبرزها غرض المديح وهو الغالب، ومنها الفخر والوعظ والوصف وحتى الغزل.
- برز عدد من الشعراء في توظيف نهر الفرات للدلالة على القوة، إذ برز جرير في هذا في الشعر الإسلامي، ثم برز أبو نواس والبحتري وأبو الطيب المتنبّي وابن نباتة السعدي وابن حيوس وغيرهم من شعراء العصر العباسي.
- إبداع الشعراء العباسيين في توظيف نهر الفرات للدلالة على القوة بخلق صور شعرية مبتكرة فضلاً عن سيرهم في بعض ذلك التوظيف على نهج شعراء العربية من فترة ما قبل الإسلام.
- كثيراً ما اتسمت الصور التي يوظف فيها الفرات للدلالة على القوة بالحركة والمبالغة، ولعل هذا لأن وصف القوة يعتمد على الفعل، كما أن الحركة الدائمة سمة لازمة في الفرات ذاته والقوة أيضاً، أما المبالغة فهي مما حبّزه المتلقي العربي وأولع بها كثير من الشعراء.

## المصادر:

## القرآن الكريم.

1. ابن أبي حصينة، ديوان ابن أبي حصينة، سمعه وشرحه: أبو العلاء المعري، حققه: د. محمد أسعد طلس، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، 1956.
2. ابن المبارك، محمد، منتهى الطلب من أشعار العرب، تحقيق وشرح: د. محمد نبيل الطريفي، دار صادر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1999.
3. ابن حيوس، ديوان ابن حيوس، عني بنشره وتحقيقه: خليل مردم بك، دار صادر، بيروت، 1984.
4. ابن خشرم، شعر هُدْبَةُ بِنْتُ خَشْرَمِ الْعُدْرِيِّ، د. يحيى الجبوري، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الثانية، 1986.
5. ابن شأس، شعر عمرو بن شأس الأسدي، د. يحيى الجبوري، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الثانية، 1983.
6. ابن قميئة، ديوان عمرو بن قميئة، عني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه: حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية/ جامعة الدول العربية، 1965.
7. ابن كلثوم، ديوان عمرو بن كلثوم، جمعه وحققه وشرحه: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، 1996.
8. ابن مقبل، ديوان ابن مقبل، عني بتحقيقه: د. عزة حسن، دار الشرق العربي، حلب - سوريا، 1995.
9. ابن نباتة، ديوان ابن نباتة السعدي أبي نصر عبد العزيز بن عمر، دراسة وتحقيق: عبد الأمير مهدي حبيب الطائي، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1977.
10. أبو نواس، ديوان أبي نواس، شرح وتحقيق: محمد أنس مهراث، دار مهارات للعلوم، حمص - سوريا، الطبعة الأولى، 2009.
11. الأحوص، شعر الأحوص الأنصاري، جمعه وحققه: عادل سليمان جمال، قدم له: د. شوقي ضيف، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثانية، 1990.
12. الأخطل، ديوان الأخطل، شرحه وصنف قوافيه وقدم له: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، 1994.
13. الأصفهاني، ديوان عماد الدين الأصفهاني، تحقيق: د. ناظم رشيد، جامعة الموصل، الموصل، 1983.
14. الأعشى، ديوان الأعشى الكبير، تحقيق: د. محمود إبراهيم محمد الرضواني، وزارة الثقافة والفنون، الدوحة - قطر، الطبعة الأولى، 2010.
15. الأفتسي، أمين الدولة محمد بن محمد، المجموع اللغيف، تحقيق: د. يحيى وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، 2005.
16. الأمدى، أبو القاسم الحسن بن بشر، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، دراسة وتحقيق: عبد الله حمد محارب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى، 1990.
17. الأنصاري، ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، حققه وعلق عليه: د. مازن المبارك، محمد علي حمد الله، راجعه: سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت - لبنان، 1998.
18. البحتري، ديوان البحتري، عني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه: حسن كامل الصيرفي، ذخائر العرب (34)، دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة.
19. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، الحيوان، بتحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية، 1967.
20. جرير، ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب، تحقيق: د. نعمان محمد أمين طه، ذخائر العرب (43)، دار المعارف، القاهرة - مصر، الطبعة: الثالثة، 1986.
21. حبنكة الميداني، عبد الرحمن، البلاغة العربية، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1996.
22. الخفاجي، ديوان ابن سنان الخفاجي، حققه وشرحه وعلق عليه: د. مختار الأحمد نيووات و د. نسيب نشاوي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 2007.
23. الديلمي، ديوان مهيار الديلمي، دار الكتب المصرية/ القسم الأدبي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1925.
24. الذيباني، ديوان النابغة الذيباني، شرحه: محمد بن إبراهيم الحضرمي، حققه: د. علي الهروط، جامعة مؤتة، الكرك، 1992.
25. ذو الرمة، ديوان ذي الرمة شرح أبي نصر الباهلي رواية أبي العباس ثعلب، أبو نصر أحمد بن حاتم الباهلي، حققه وقدم له وعلق عليه: د. عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الإيمان، بيروت، الطبعة: الأولى، 1982.
26. الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر، 2002.
27. السامرائي، فاضل، معاني النحو، دار الفكر للطباعة والتوزيع، عمان - الأردن، الطبعة الأولى، 2000، 334/4.

28. السري الرفاء، ديوان السري الرفاء، تحقيق ودراسة: حبيب حسين الحسيني، دار الرشيد للنشر، 1891.
29. الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة، 1990.
30. الشريف الرضي، ديوان الشريف الرضي، شرحه وعلق عليه وضبطه وقدم له: د. محمد مصطفى خلاوي، شركة دار الأرقم، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1999.
31. الشريف المرتضى، ديوان الشريف المرتضى، شرح: محمد التونجي، دار الجيل، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1997.
32. شمس الدين، إبراهيم، مجموع أيام العرب في الجاهلية والإسلام، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 2002.
33. الصعدي، عبد العال، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، الطبعة: السابعة عشر، 2005.
34. الطرماح، ديوان الطرماح، عني بتحقيقه: د. عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت - لبنان، حلب - سورية، الطبعة الثانية، 1994.
35. الطغرائي، ديوان الطغرائي، تحقيق: د. علي جواد الطاهر، د. يحيى الجبوري، مطبعة الدوحة الحديثة، الدوحة - قطر، الطبعة الثانية، 1986.
36. العماد الأصفهاني، خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء الشام)، عني بتحقيقه: د. شكري فيصل، مطبوعات المجمع العلمي العربي دمشق، 1959.
37. فيود، بسيني عبد الفتاح، علم البيان، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة: الرابعة، 2015.
38. المتمس، ديوان شعر المُتَمَسِّ الضُّبْعِي رواية الأثرم وأبي عبيدة عن الأصمعي، عني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه: حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية/ الجامعة العربية، 1970.
39. المتنبي، شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، لأبي العلاء المعري (معجز أحمد)، تحقيق ودراسة: د. عبد المجيد دياب، ذخائر العرب 65، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، 1992.
40. المعري، شروح سقط الزند، تحقيق الأساتذة: مصطفى السقا، عبد الرحيم محمود، عبد السلام هارون، إبراهيم الإبياري، حامد عبد المجيد، إشراف د. طه حسين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة، 1986.
41. الملوكي، عبد المعين، المنصفات، وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي، دمشق، 1967، أ-ج.
42. الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد، مجمع الأمثال، حققه وفصله وضبط غرائبه وعلق حواشيه: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية، 1955.
43. نصار، حسين، وصف البحر والنهر في الشعر العربي من العصر الجاهلي حتى العصر العباسي الثاني، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية، 1982.
44. النيلي، ديوان سعيد بن مكي النيلي، جمع وتحقيق ودراسة: عبد المجيد الإسدائي، راجعه وضبطه: مركز العلامة الحلبي لإحياء التراث حوزة الحلة العلمية، الطبعة الأولى، 2019.
45. الهجري، أبو علي هارون، التعليقات والنوادر، ترتيب: حمد الجاسر، الطبعة الأولى، 1992.

#### الأطاريح:

رسالة ماجستير، الفنداوي، علي غانم، مفردات الماء في الشعر العباسي 200هـ - 350 هـ دراسة موضوعية فنية، كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة البصرة، 2013.

#### الدوريات:

- التميمي، شاكر هادي، دجلة والفرات في شعر الجواهري، مجلة كلية الفقه، جامعة الكوفة، العدد 1، 2013.

1 - يوم أغار فيه المثنى بن حارثة الشيباني البكري على تغلب عند الفرات فظفر بهم وقتل منهم وغرق آخرون، وكان هذا قبيل الإسلام، ينظر: (شمس الدين، 2002، 109).

2 - عندما قال في معلقته:

"مَلَأْنَا الْبَرَّ حَتَّى ضَاقَ عَنَّا وَنَحْنُ الْبَحْرُ نَمْلُؤُهُ سَفِينًا"

(ابن كلثوم، 1996، 91)

3 - تظهر هذه الصورة في العديد من الأبيات في الشعر العربي قبل الإسلام وبعده، كقال الأحوص عبد الله بن محمد الأنصاري(ت: بعد 105هـ) راثيا معاوية بن أبي سفيان:

"مَلِكٌ تَدِينُ لَهُ الْمَلُوكُ مَبَارِكٌ  
كَادَتْ لِهَيْبَتِهِ الْجِبَالُ تَزُولُ  
تُجَبِّي لَهُ بَلْحٌ وَدِجْلَةٌ كُلُّهَا  
وَلَهُ الْفُرَاتُ وَمَا سَقَى وَالنَّيْلُ"

(الأحوص الأنصاري، 1990، 219-220)

وقال أبو نَقر الحكيم بن حكيم الطَّرِمَّاح (ت: 125هـ) مفتخرًا:

"لَنَا الْجَبَلَانِ مِنْ أَرْمَانِ عَادٍ  
إِلَى فُرْصِ الْفُرَاتِ، فَلَابِ نَيْلِي  
وَمَجْتَمَعِ الْأَلَاءِ وَالْغُضَاءِ  
فَتَيْمًا، فَالْفُرَى الْمُتَجَاوِرَاتِ  
أَبْحَنَاهَا بِكُلِّ أَصَمِّ صُلْبٍ  
وَكُلِّ أَشَقِّ مُنْتَبِرِ الْحَمَاءِ"

(الطَّرِمَّاح، 1994، 19-20)

وقد عبر عن هذا جرير بن عطية (ينظر: جرير، 1986، 96/1)، وينظر: (الهجري، 1992، 671)، و(ابن المبارك، 1999، 156/8)، و(الأفطسي، 2005، 31).

4- قال ابن نباتة السعدي في الصورة ذاتها:

"كَمَأَنَّ الْخَيْلَ مِنْ مَرَحٍ وَأَهْوٍ  
بِقَاقَا كَالْأَهْلَةِ فِي الْأَعَادِي  
ثُنَازِعُهُ إِذَا تَرَكَ الرَّحِيالَا  
تُعَلَّمُ مِنْ ذَوَابِلِهِ النُّخُولَا  
بِدَرْبِ الْقَلَّتَيْنِ رَسُونَ حُورًا  
وَأَرْسَلَهَا عَلَى هُنْزِيَطِ خُولَا  
يُخَوِّضُهَا الْفُرَاتُ فَتَى يَلَاقِي  
بِوَجْهِ الْمَوْتِ فِي الْعَمْرَاتِ سُولَا"

(ابن نباتة السعدي، 2/ 253).

5 - (ابن نباتة السعدي، 1/ 279) والسمهرية: الرماح الصلبة، هبهب: سريع. ولقد وظف الفرات لهذه الدلالة عند شعراء كثير، منهم: ومن قبله وظف أبو نواس الفرات للدلالة على بسط النفوذ والقوة بقوله:

أَلَمْ تَرَ مَا بَنَى كِسْرَى وَسَائُورَ لِمَنْ غَبَرَا  
مَنَازِلَ بَيْنَ دِجْلَةَ وَالْفُرَاتِ أَحْفَهَا شَجَرَا

(أبي نواس، 386)، وينظر: (البحثري، 2/ 1036، 2/ 819)، و(المتنبي، 2/ 401)، و(السري الرفاء، 1891، 187/2)، و(ابن حيوس، 438).

6 - لعل هذه الصورة متأثرة بقول أبي الطيب المتنبّي:

وَأَجْفَلَ بِالنُّفَرَاتِ بَنُو نُمَيْرٍ      وَزَارَهُمُ الَّذِي زَارُوا خُـوَاوِ  
فَهُمْ جَزَقُوا عَلَى الْخَابُورِ صَرَعى      بِهِمْ مَنْ شَرِبَ غَيْرِهِمْ خُمَاوِ

(المتنبّي، 479/3).

7 - القصائد التي ينصف فيها الشاعر أعداءه ويذكر شجاعتهم وحسن عدتهم كما يفعل مع جيش قومه، وهي ظاهرة بارزة في شعر الشعراء الفرسان، ينظر: (الملوخي، 1967، أ-ج).